تداوليةُ سيرل في ثنائيةِ الخبرِ والإنشاء تصوّرٌ تطبيقيّ في لاميّتيّ الفرزدق وجرير

م.م. شفاء سالم لهيمص
وزارة التربية المديرية العامة لتربية الرصافة الثانية
اعدادية الكرامة للبنات

الملخص:

١- غلبة الجمل الخبرية على أشعارهما؛ لأن الفخر والمديح والهجاء يتطلب استعمال الاسلوب الخبري، فجاء الاستعمال موافقا للمقاصد.

٢- وردت أغلب الجمل الخبرية مؤكدة بأكثر من مؤكد؛ ذلك لتقوية حجة الشاعر فيما ذهب اليه، لئلا ينكره عليه منكر، فمن قول الفرزدق: (إنَّ، إنّني، لام التوكيد ، إنَّا..)، أمّا مؤكدات جرير فتمثلت بـ: (إنّي، إنَّ، ..).

٣- كثرة الألفاظ الجزلة القوية التي تترك في نفس متلقيها أثرًا بالغًا كما في قول الفرزدق: (سمك السماء، المليك، حكم السماء، ثهلان ذا الهضبات، بلغ السماء)، وتكرار كلمة السماء دلالة على علو المنزلة، أمّا جرير فنراه يستعمل لفظة: (سمّا ناقعا، ميسمي، جدعت أنف الأخطل، الحضيض، اختطفتك، صكتي، أخزى) نرى أن الكلمات جزلة خارجة لغرض الهجاء القوي على نفس متلقيه.

٤- يميل الفرزدق إلى الفخر بنفسه وآبائه ويكثر منه بكل ما أوتي من قوة ، بينما يميل جرير لهجاء خصمه وتحقيره وتذليله.

الكلمات المفتاحية :(القصدية 'اسلوبا الخبر والانشاء، نقائض، شعر جرير، شعر الفرزدق).

Searle's Pragmatics in the Duality of News and Creation An Applied Conceptualization in the Two Limits of Al-Farazdaq and Jarir

shifa' salim lihims
Ministry of Education, General Directorate of Education, Rusafa II
Karama preparatory school for girls

Abstracts:

1-Predominance of declarative sentences over their poems; Because pride, praise, and satire require the use of the predicate method, so the use came in accordance with the purposes.

2-Most of the declarative sentences were confirmed with more than one confirmation; This is to strengthen the poet's argument in what he went to, so that he would not be denied by a denial. From Al-Farazdaq's saying: (Indeed, I am, for the mother of affirmation, I am..), as for Jarir's emphases, they were represented by: (I am, that.. ،).

3-The large number of powerful words that leave a deep impact on the recipient's soul, as in the saying of Al-Farazdaq: (The thickness of the sky, the king, the rule of the sky, the drowsy of the plateaus, the reach of the sky), and the repetition of the word sky is an indication of the high status. As for Jarir, we see him using the word: (Asma soaked, my face, I cut off the nose of the crooked, the bottom, I kidnapped you, my silence, I am ashamed) We see that the words are abundant out for the purpose of strong satire on the same recipient.

4-Al-Farazdaq tends to be proud of himself and his ancestors and exaggerates him with all his strength, while Jarir tends to satirize, demean and humiliate his opponent.

Keywords: (Intentionalism, the style of news and creation, contradictions, Jarir's poetry, Al-Farazdaq's poetry)

تمهيد:

يرتبط القصد بالأسباب التي من أجلها نستعمل اللغة؛ لأن غاية المتكلّم من عملية التواصل اللساني هي إيصال قصده للمتلقي، كما أنَّ فهم المتلقي للخطاب وتأويله أصبح هو الآخر مرتبطًا بمعرفة مقاصد المتكلّم؛ لذا كان على مستعمل اللغة أن يسعى إلى انتخاب أساليبه الخطابية، ومقولاته اللغوية التي تساعده في تحقيق مقاصده الكلامية، وأغراضه الخطابية

بوضوح، ولقد شكّل مفهوم القصد محور الدراسات اللغوية لاسيما التي اشتغلت بمجال تحليل النصوص، وفهم الكلام.

وَرَدَ تعريف القصدِ في المعجمات العربية بأنّه: الاستقامة والسهولة، والاعتدال، والتوجه الى الشيء[١]، والقصد في الخطاب: هو الإتيان بالأسباب التي تُبيّن غاية المتكلم من انتاج الخطاب، وتُكمِّل عملية التواصل بين المتكلّم والمتلقّي.

أمّا مفهوم القصد في التداولية: فهو لُبّ النظرية التداولية؛ لأنَّ العملية التواصلية لا تتمّ من دون وجود تفاعل بين المتكلّم والمتلقّي، فالنص يُطلقه المتكلّم فيستقبله المتلقّي لفهم المُراد منه، لذا اهتّم علماء اللغة المعاصرون بدراسة البنية اللغوية على أنّها أفعالٌ قصدية؛ لأنّ المتكلّم يسعى لتحقيق وانجاز عملا من خلالها، وحين يسمع المتلقي كلامه يكون بينهما تواصل، فالقيمة الفعلية للغة تظهر في قصديتها، والكلام المجرّد من القصدية لغو لا قيمة له.[٢]

ويرجع ظهور هذا المفهوم على يد فيلسوف اللغة الظاهراتية (إدموند هوسرل) الذي عدّ القصدية عنصرًا اساسًا لكل شعور، وقد تبنّى فكرة: " كل وعي هو وعي بشيء أو موضوع ما"[٣] ، بمعنى أنّ القصد هو توجيه الوعي نحو موضوع معيّن، فبرزت العناية بالقصد بشكل كبير عندما أسس جون نظرية (أفعال الكلام)، ففعل القصد بالقول كان محل اهتمام أوستين، وشهد مفهوم القصد تطورا عرفانيا على يد (سيرل)، في كتابيه: (القصدية بحث في فلسفة اللغة ١٩٨٣، والذهن واللغة والمجتمع) ويرى أنّ القصدية هي: مصطلح جامع للأشكال المتنوعة في الذهن ليهتدي بها إلى الأشياء وحالات الواقع في العالم، وما يتعلق بها[٤]، ونظرية (الاستلزام الحواري) لغرايس، التي كان لها الفضل في تعزيز أهميّة مقاصد الكلام، ووصفوا اللغة بأنّها عبارة عن مجموعة قواعد دلالية لا يمكن بيانها من دون تدخّل عنصر القصدية. [٥]

وقد ركّز أوستن مؤسّس نظرية (أفعال الكلام) على فكرة التمييز بين ثلاثة أفعال أساسية في الفعل الكلامي من خلال القصد، فالفعل الكلامي في نظره هو الكلام المنتظم في تركيب نحوي سليم، والمحمَّل بمقاصد معينة في سياق محدّد، يعمل على قيام المتكلّم بثلاثة أفعال في آن واحد، وهي :

١- فعل الكلام: يقصد تبليغ الرسالة عبر النطق السليم بالحروف التي تمثّل المعنى اللغوي الصحيح.

٢- فعل الإنجاز: يقصد إنجاز فعل بوساطة القول، وهو الحدث الذي يقصده المتكلّم من الجملة.

٣- فعل التأثير: يقصد التأثير العملي على المتلقّي كالإقناع، والإغراء، والتضليل، والتحذير...إلخ .[٦]

وجعل أوستن غموض التعبير الدلالي والتركيبي الذي يؤدي إلى عدم قدرة المتلقّي على فهم مراد المتكلّم سببًا في فشل الفعل الإنجازي بشكل تام؛ لأنّ سبب قصد المتكلّم من إحداث سلسلة من الأصوات، لتكوين فعل صوتي تركيبي لا يتمّ إلا في حالة واحدة: هي العمل على وفق القواعد التركيبية الصحيحة، وتكون موافقة للأعراف اللغوية السائدة عند الجماعة اللغوية.

وعدّ القصد شرطًا مقاميًا مهمًا لنجاح الفعل الكلامي، فالقصدية الواضحة تدفع الحيز الإنجازي الى التنفيذ[٧] ، واتفق سيرل مع أستاذه أوستن أنّ مفهوم القصد: وسيلة للتفرقة بين الفعلين الإنجازي والكلامي، فهو: "يقدّم لنا معيارًا جيدًا لتمييز الفعل الإنجازي عن الفعل الكلامي؛ لأنّ ما نفعله بقولنا لشيء ما، يختلف عمّا نفعله انطلاقًا من قولنا له"[٨]، فالفعل الكلامي مرتبط بتعبير المتكلّم عن قصده، والفعل الإنجازي مرتبط بالقصد التواصلي المُنجز من خطاب المتكلّم وفهم المتلقّي.

المبحث الأول

التعريف بشعر النقائض، وبيان أسلوبي الخبر والإنشاء

المطلب الأول: التعريف بشعر النقائض وأهميته وأبرز شعرائه

١- تعريفه:

معناه اللغوي : المعارضة والمخالفة والهدم.(٩)

أما في الاصطلاح: أن ينظم الشاعر قصيدة في الفخر أو الهجاء على وزن وقافية فيرد عليه شاعر آخر بقصيدة أخرى ينقض بها فخره وهجاءه بنفس الوزن والقافية.(١٠)

٢- أهميته:

تتجلى قيمتها الحقيقية بالربط الذي يتحقق بين عناصر النص الأدبي، والتآلف والانسجام الموجود في ذلك الخطاب، وإن كانت تلك العناصر متنافرة في أصلها، ففكرة النقائض قائمة على إغراق الشاعر بمدح نفسه وقومه، وهجاء خصمه وقومه، فالمديح والهجاء متنافران، لكنهما يجتمعان في نص واحد بانسجام وترابط لتحقق قيمة تأثيرية عالية في المتلقي، وهذه القيمة اكتسبتها من تنسيق العلاقة بين المعاني والألفاظ، بنوع من التناغم والانسجام، لتصل الرسالة الى المتلقي بوضوح كي يعي قصدية المتكلم بدقة وفهم جيد، ليستطيع ردها بقصيدة على نفس الروي والبحر والقافية، ومما يميز فن النقائض أنّه وعاء تجتمع فيه العلاقات الزمانية والمكانية ، وهذه العلاقات كفيلة بإغناء النص بالمقاصد والدلالات المؤثرة، وتجعله ذا طابع خاص منفرد متميز عن غيره.(١١)

٣- نشأة شعر النقائض:

نلتمس نشوء شعر النقائض في العصر الجاهلي؛ لما كان من تنافس بين القبائل، والأفراد، ذلك شجّع على ظهور المعارك الكلامية التي كان الشعراء يخوضونها للدفاع عن قبيلتهم وإعلاء شأنها، والنيل من خصومها، وإثبات انتمائهم لها، وامتازت النقائض في ذلك العصر بالعفوية والارتجال، والتفاخر بالأنساب والأحساب، لكن في العصر الإسلامي ظهرت بوضوح بيم المسلمين والكفّار، فاكتست بروح مذهبية فكرية ، استعملها الشعراء للدفاع عن المبادئ والدين، وفي العصر الأموي بلغت ذروتها على يد جرير والفرزدق والأخطل فتفوّقت على غيرها من الألوان الشعرية ومزجت بين المديح والفخر والهجاء. (١٢)

٤- أبرز شعراء النقائض:

نظم في النقائض شعراء كثر لكن أبرزهم هم الشعراء الثلاثة جرير والفرزدق والأخطل، وبدأ ينسج على يديهم، وبدا يهجو كل واحد منهم الشاعر الآخر ليرد عليه بقصيدة على نفس الروي والقافية، وتحتدم الحرب الكلامية بين الشعراء، وأشعلت النار بينهم أزمانا طويلة ، وانقسم الناس بين مؤيد لهذا وذاك، فخلّفت إبداعاتهم هذا الفن في الأدب العربي.(١٣)

المطلب الثاني : الأساليب الخبرية والإنشائية

١- الأسلوب الخبري: هو أسلوب بلاغي يعطي للكلام الذي يقع فيه احتمالي الصدق والكذب، ويشير إلى دلالة معينة دون التصريح بها، كقولنا: الرياضة مفيدة، هنا تم إثبات صفة الفائدة للرياضة وهي صفة ثابتة لها، وإن لم يتم التلفظ بها في الجملة ؛ لأن الإفادة في الرياضة حاصلة حقيقة وواقعا، والجملة تأكيدا لما اتّفق عليه الناس، والخبر هنا صادق؛ لأنه مطابق للواقع(١٤)، وينقسم الخبر على ثلاثة أقسام :(١٥)

١- الخبر الابتدائي: يكون المخاطَب خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقى إليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد.

٢- الخبر الطلبي: يكون في حالة تردد المخاطَب في الحكم، طالبا أن يصل إلى اليقين في معرفته، وهنا يتم التأكيد بمؤكد واحد.

٣- الخبر الإنكاري: يكون المخاطَب منكرا للخبر ، وفي هذه الحال يؤكد الخبر بأكثر من مؤكد.

وأدوات توكيد الخبر: (إنّ، وأنَّ، والقسم، ولام الابتداء، ونونا التوكيد، وأحرف التنبيه، والحروف الزائدة، وقد، وأما الشرطية، وأسلوب الحصر والقصر، وضمير الفصل).

٢- الأسلوب الانشائي: هو الكلام الذي لا يحتمل الحكم عليه بالصدق أو الكذب(١٦)، أو هو ايجاد معنى بلفظ يقارنه في الوجود(١٧). ينقسم الأسلوب الإنشائي على قسمين :(١٨)

١- إنشاء طلبي: ما يستلزم مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، إنّما يمكن تحقّقه بالمستقبل، وقسّمه النحاة على تسعة أقسام: (أمر ونهي واستفهام ودعاء وعرض، وتحضيض، وتمنٍّ وترجٍّ ونداء).

٢- إنشاء غير طلبي: ما لا يستلزم مطلوبًا ليس حاصلًا وقت الطلب، ويشمل: (أفعال العقود وأفعال التعجّب، والمدح والذمّ، والقَسَم، ورُبَّ، وكم الخبرية)، وأكثر تلك الأساليب منقولة من الخبر إلى معنى الإنشاء، وسنتناول ذلك في ضوء تحليل لاميّة الفرزدق ولاميّة جرير، والوقوف على قصديّة الشاعرين في استثمار هذه الأساليب في فنّ النقائض.

المبحث الثاني

قصدية أسلوبي الخبر والإنشاء في لامية الفرزدق وجرير

المطلب الأول: قصدية أسوبي الخبر والإنشاء في لامية الفرزدق

١- حياته:

هو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي، سُمّي بالفرزدق ؛ لتجهم وضخامة وجهه كالرغيف المنتفخ، ولد في العراق في مدينة البصرة وتوفي فيها ، كان متقلبا في حياته الاجتماعية تراه يمتدح شخصًا وفي اليوم الآخر يهجوه، واشتهر بشعر المديح والفخر والهجاء، ويعد من سادات قومه ونبلائهم، وكان نديمًا للأمراء والخلفاء يقول فيهم الشعر حتى توفي(١١٤هـ)، وعلى الرغم من براعته بأغراض الشعر ومنها الفخر؛ لأن شرف آبائه وأجداده مهّد له سبيل القول بالفخر، إلا أنّه اشتهر بشعر النقائض.[١٩]

٢- تحليل لاميته

يستهل الفرزدق قصيدته بالمقطع الآتي :[٢٠]

إنَّ الذي سَمَكَ السّماءَ بَنَى لَنا ... بيتـاً دَعَائِمُـهُ أعـزُّ وأطـولُ

بَيتاً بنَاهُ لَنا المَليكُ ومَـا بَنـى ... حَكَـمُ السّمـاءِ فإنّـهُ لا يُنْقَلُ

بَيتـاً زُرارَةُ مُـحـتَـبٍ بفِنـائِـهِ ... ومُجاشِعٌ وأبُو الفوارسِ نَهشَلُ

نلاحظ أن الفرزدق قد ركّز على خصلة النسب الرفيع فآباؤه كابر من بعد كابر، ينمازون بالشجاعة والقوة والإقدام، فوظّف هذا العنصر ليغلّب نفسه على جرير، مستعملا أسلوب التوكيد (إنَّ) لتثبيت العز والفخر له ولقومه، وأورد الاسم الموصول (الذي) العائدة على الذات الالهية؛ لغرض التفخيم والتعظيم، ونسب بناء البيت لله؛ وهو مجاز عقلي علاقته سببية، وظفه الشاعر لبيان العزّ والتمكن الذي أنعم الله عليه وعلى قبيلته، واستعمل أسلوب التفضيل، لكن لا يريد منه التفضيل، إذ تنقل لنا كتن اللغة والأدب استفهام الطرمّاح بن حكيم، حول (أعزّ وأطول)، بقوله: يا أبا فراس أعز ممّاذا وأطول ممّاذا؟ وأذن المؤذن، فقال له الفرزدق: يا لكَع ألا تسمع ما يقول المؤذن "الله أكبر" أكبر ممّاذا وأعظم مماذا؟؟

وهذا يدلّ على قصدية الفرزدق بأنّ بيته عزيز ذو شرف لا يفاضله أحد في سموّ المكانة، واستعمل هذا الأسلوب؛ لما في ذلك من الفخامة في اللفظ والاستظهار في المعنى[٢١]، وقيل: هو أعزّ وأطول من السماء التي ذكرها في أول البيت، وإنما جاء بها لهذا الغرض؛ للمبالغة في الصفة دون التفضيل[٢٢]، وأنّ دعائم بيته أعزُّ دعامة وأكرمُها[٢٣]، ثم نلاحظ أن أسلوب التكرار في لفظة(بيت) الذي جاء نكرة في مجمل القصيدة؛ للتفخيم ، ولبيان أنّ هذا البيت أفضل بيوت العرب، وأحسنها نسبا، ثم ينتقل ليفخر بآبائه، ومنهم: زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك، ومجاشع بن دارم، ونهشل بن دارم[٢٤] وهم فحول وكبراء بني تميم، ثم يقول فيها:[٢٥]

حُلَلُ المُلوكِ لِبَاسُنا فـي أهِلنا ... والسابِغاتِ إلى الوَغى نَتَسربَلُ

أحلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رزانَـةً ... وتَخالُنا جِنّاً إذا مـا نَجهَـلُ

فادفَعْ بكَفّكَ إنْ أردتَ بِنَاءَنا ... ثَهلانَ ذا الهَضباتِ هل يتحلحلُ

وأنا ابنُ حَنظلـةَ الأغرُّ وإنّني ... في آل ضَبّـةَ للمُعَمُّ المُخـوَلُ

يستعمل الفرزدق أفخر الكلمات وأجمل الأساليب وأجزل العبارات لتوضيح قصده بالأساليب الخبرية والإنشائية وبكل ما أوتي من مهارة في نظم الشعر يوظف ذلك كله لإظهار البأو الشديد بنفسه وقومه، ولتعجيز خصمه من أن يملك نسبا رفيعا كالذي يملكه، فيخبر جريرا بأنه وآبائه هم الملوك أنفسهم، فلباسهم لباس الملوك، ليس حينما يلقون الناس في الطرقات والمجالس، إنّما حلل الملوك لباسهم في البيت، فلك أنْ تتخيّل ماذا يلبسون عند خروجهم من البيت؟!

نلتمس غلبة استعمال الأسلوب الخبري لأن الفخر والمدح يتطلّب الإخبار عن الماضي الزاخر بالبطولات والانتصارات، فيصف قوة بنائهم وعزّهم وسؤددهم بالجبل الشامخ، ويستعمل اسلوب الأمر الذي خرج لمعنى العرض(فادفع)، والاسلوب الاستفهامي بـ(هل) لبيان عجز خصمه، يقول له: إذا أردت أنْ تهدم بناءنا وشرفنا، فأنظر لهذا الجبل ذي الهضبات الراسية الثابتة، فإن استطعت تحريك الجبل، فأنت أبعد مـن أن تحـرّك عزّنا وشرفنا.

ثم نلحظ أنَّ الشاعر يتكلَم بصيغة التعظيم: (لباسنا، أهلنا، أحلامنا، تخالنا، بناءنا...) كلّ ذلك لإبراز الهيبة الطاغية والقوة العالية والمكانة المرموقة التي هو بها، وبذلك يتضّح قصده بأنّ من يحاول أنْ يصل لمكانته لن يقدر أبد الدهر، استعمل الشاعر أسلوب الشرط: (إذا ما نجهل

تخالنا جنّا)، وأداة الشرط(إذا) تفيد القطع بتحقيق وقوع الفعل، لبيان وقارهم ورزانتهم وعلمهم وطموحهم العالي، وإن جهلوا بأمر ما يصلون لمرحلة الجنّون، ويصف نفسه بأنّه محاط بالسؤدد من جهة أبيه وأمه، ذو الأعمام الفحول والأخوال الكرماء. يقول فيها :[٢٦]

فَرعـان قــد بلـغَ السمـاءَ ذُراهُمـا وإليهما مـن كـلِّ خَوفٍ يُعقَــلُ
فلئنْ فَخـرتُ بِهـم لمِثـل قديمهِــم أعلُـو الحَـزُونَ بـهِ ولا أتسَـهّــلُ
يـابـن المـراغــة أيـن خـالـك إنَّنـي خالي حبيش ذو الفعال الأفضـــــل
خالي الذي غصب الملوك نفوسهــم وإليــه كـان حبـاء جفنــة ينـقــل
إنَّـــا لَنَضْـرِبُ رأسَ كـلِّ قبيلــةٍ وأبـــوك خلــفَ أتــانِـهِ يتقمَّـلُ

في هذه الأبيات نلحظ أن الفرزدق يوازن بين حال آبائه وحال الأب وضيع المهنة والنسب، مستعملا الجمل الأسمية بكثرة ، وغلب على أبيات لاميته أسلوب التقديم والتأخير ، فقدّم السماء على ذراهما، في حديثه عن أعمامه وأخواله، والأصل: (فرعان بلغ ذراهما السماء) وذلك التقديم لغرض العناية والاهتمام وبيان علو المنزلة ، وفي الشطر الثاني من البيت نفسه تكرر أسلوب التقديم، فيقول: (وإليهما من كل خوف يعقل)، والأصل: يعقل اليهما من كل خوف، قدّم الجار والمجرور، ثم الجملة المتعلقة ، وجعل الفعل المبني للمجهول أخيرًا؛ كل ذلك ينصّب لإبراز الفخر بنسبه وآبائه.

وأدراج أسلوب التوكيد في غالبية الأبيات ؛ لتقوية كلامه وتثبيته لئلا ينكره عليه منكر، ويرى أنّ الفخر بآبائه يزيده علوا وارتفاعا ؛ لأنهم ليسوا كباقي الآباء، ثم ينتقل من الإخبار إلى أسلوب الإنشاء مستعملا أسلوب النداء بـ(يا)، وذكر علماء النحو أنّ (يا) هي أم الباب، لأنها تدخل في النداء الخالص[٢٧]، و(يابن المراغة) هو منادى مضاف استعمله الشاعر مخاطبًا عدوّه الدائم (جرير)، بالتحقير والسباب، فيشتم أمه.

ويستعمل بعد ذلك أسلوب الاستفهام للسؤال عن نسب خصمه، بعد افتخاره بنسبه، ويقول له حين وصل ذروة فخره نراه يستعمل كل أنواع التوكيد وهي (إن، والضمير نا ، ولام التوكيد، كلّ التي أفادت العموم) أي لا يضربون قبيلة واحدة بل أي قبيلة؛ لإفادة المبالغة والإحاطة، فيقول: عند القتال نحن لا نضرب عوام الناس بل نضرب ملوكها وشيوخها وساداتها هذا ما نصنعه نحن، وأنت أبوك ماذا يصنع؟ جالس خلف الأتان وهي أنثى الحمار، ولملازمته لها

صارت جزءا منه، ينزع القمل عن شعره ولحيته ولباسه، فبراعة الفرزدق تكمن في أنه استمدّ ألفاظًا (يا ابن المراغة، خلف أتانه)، من مهنة أبي جرير ووهي رعي الغنم؛ لإضعاف خصمه وتذليله فغاص في تفاصيل حياتهم لإنتاج هذه الصفات والمقاصد من هذه المهنة.

وهنا يصف حالين مختلفين، فقومه يصنعون الفخر والشرف ويحققون الأمجاد، ويصف أهل جرير بأنهم منشغلون برعاية الأغنام، نلتمس أن الفرزدق سخّر أساليب العربية لبيان اعتزازه وتباهيه بنسبه، وركّز على نقطة ضعف خصمه وهي النسب الوضيع، فجاءت كلماته متناسقة مكثر فيها ما يتناسب مع الفخر من جزالة الألفاظ وغلبة الجمل الخبرية، واستعمال المؤكدات، والتقديم والتأخير، والتكرار اللفظي، واستعمل الأسلوب الإنشائي كالاستفهام والنداء والأمر، وهذه الأساليب تسهم مجتمعة في بيان مقصده واستغلال نقاط قوته فيفخر بها ونقاط ضعف خصمه فيعيره ويهجوه بها.

المطلب الثاني: قصدية أسلوبي الخبر والإنشاء في لامية جرير

١- حياة جرير:

هو أبو حزرة جرير بن عطية بن حذيفة التميمي، نشأ في اليمامة ومات ودفن فيها، كان من أسرة متواضعة وقف في الحرب الهجائية وحده أمام ثمانين شاعرا، فانتصر عليهم نصرا كبيرا، ولم يثبت أمامه سوى الفرزدق والأخطل، وكان يتميز غزله بالعفة، وهجاؤه من الطراز الأول، إذ يتتبع مساوئ خصمه، وإن لم يجد شيئا يهجوه اخترع الشائنة من القصص وألصقها بخصمه، ثم عيّره بها.

كان جرير مقرّبًا من الخلفاء الأمويين، فمدحهم ونال جوائزهم، وعاش حوالي (٨٠) عامًا، وعلى الأغلب كانت وفاته في سنة (١٤٤هـ) بعد وفاة الفرزدق بستة أشهر تقريبا، وكان معتدلا في علاقاته وصداقاته، أبيا محافظا على كرامته، لكن حياته تختلف عن حياة الفرزدق، إذ لا مآثر ليفخر بها؛ لأنّ أبيه كان وضيعًا بخيلا، فلا نصيب له من كرمٍ أو مجد، لكنه استعمل ورقته الرابحة لمقارعة خصمه الفرزدق، ألا وهي (يربوع) لأنها كانت على فقرها معروفة بالشجاعة والإقدام في الحروب ، لكن يلاحظ من الأبيات أنّ جريرا يجيد الهدم أكثر من البناء، فكان يحسن الهجاء أكثر من الفخر.[٢٨]

٢- تحليل لاميته:

يستهل الشاعر لاميته بالمقطع الآتي :[٢٩]

لِمَـنِ الدِّيـارُ كأنَّــها لـمْ تُحـلَلِ ... بينَ الكنـاسِ وبينَ طَلـحِ الأعزلِ

ولقدْ أرى بِكَ والجديدُ إلـى بلـىً ... موتَ الهوى وشِفاءَ عَينِ المُجتلي

أعـدَدْتُ للشُّعــراءِ سُمّـاً نـاقِعــاً ... فسَـقَيـتُ آخِـرَهُـمْ بِكــأسِ الأولِ

لمّا وضَعتُ على الفرزدق ميسَمي ... وضغَا البَعيثُ جَدَعتُ أنفَ الأخطلِ

أخزى الذي سَمَـكَ السماءَ مُجاشِعاً ... وبنى بِناءَكَ في الحضيـضِ الأسفلِ

جاء رد جرير على قصيدة الفرزدق بقصيدة على نفس الروي والقافية، ويستهلّها مستعملا أسلوب الاستفهام، للسؤال عن الديار، التي كان هو وأحبابه مجتمعين متجاورين، فافترق عن أحبّته وظل يستذكرهم في كل حين، وقوله (لم تحلل) يخبّر أنّ الديار قد رست وانمحت آثارها، فدياره بين الكناس وهو موضع بين بلاد غني، والأعزل وادٍ لبني كليب به ماء يسمى الأعزل[٣٠]، الطلح شجر من العضاة، ويستعمل أسلوب المقابلة للكشف عن التغيّر الحاصل بقوله: (الجديد، والبلى)، ورحيل الأحباب وفنائهم، وهو خير ما يستهل به قصيدته.

ثم ينتقل إلى فكرة أخرى إذ يبدأ جرير هجاءه بتفاخره بمجده وتفوقه على الشعراء جميعا بقول الشعر والهجاء فشعره كالسم القاتل لكل الشعراء الذين تحدثهم أنفسهم بالتعرّض له ولقبيلته سيقاسون من هجائه كما قاسى الأولون، فهو لم يترك منهم أحدا، استعمل الجملة الفعلية زمنها ماض، للدلالة على تمكنه من الشعراء منذ زمنٍ طويل، ووظف أسلوب التقديم والتأخير، إذ قدّم الجار والمجرور (للشعراء)على المفعول به (سمّا)، لتخصيص السم للشعراء، وقصره عليهم، فشبّه جرير هجاءه بالسّم القاتل الذي سلّطه عليهم جميعًا.

وفي الشطر الثاني من البيت استعمل الفعل الماضي(سقى) الدالّ على الاستمرار إذ إنّ السقاية مستمرة من الأول للآخر، ثم يرويهم كأسًا أخرى، ثم ينتقل ليتوعدَ الفرزدق ويهجوه طاعنًا في منزلته وعشيرته، فيصوّره بأبشع هيأة، ويشبّهه بالحيوان فيضع عليه الميسم- وهي الآلة التي تكوى بها البهائم- ويقصد وضع أهاجيه وأشعاره وهي كآلة الكي على جلد الفرزدق، أمّا البعيث وهو شاعر كتب في النقائض، وصفه بالمتألم المستغيث المنهزم من ضربة جرير وهجائه له، ثم

يذهب إلى الأخطل فيجدع أنفه؛ لبيان إذلاله وإهانته والحط من مكانته وقدره، فيضرب أينما وقعت الضربة.

وبدأ بهجاء كلّ الشعراء إذ لا يسلم من لسانه أحد، ثم نراه يستعمل إعادة صياغة أبيات الفرزدق واستعمالها ضده، حين استعمل الفرزدق ورقته الرابحة وهي الفخر بالمنزلة والنسب والمكانة والشجاعة، فلا يملك جرير مثل هذه المقومات كي ينظم الأبيات مفتخرًا ، فكرّس مهارته في نقض قول خصمه، وإنكار قوله وفعله وفخره، فيصف جرير الفرزدق وعشيرته (مجاشع) بالخزي والعار، ويقول أن الله سبحانه وتعالى بنى لهم بيتا في مكانٍ منخفضٍ، ليس كما وصفه الفرزدق في لاميته؛ ليوضّح ويبرهن على ضعف نسب الفرزدق وقلّة شأن قبيلته وانحطاط مكانتها بين القبائل، بقوله: (وبنى بناءَك في الحضيض الأسفل).

ولم يكتفِ بذكر الحضيض، بل وصفه بالأسفل، ليبينَ أنّ مكانته هي الأسفل والأدنى بين الناس. ويكمل هجومه على أعدائه فنراه يقول:(٣١)

إنَّي انصببتُ منَ السَّماءِ عليكمُ ... حتَّى اختطفتكَ يا فرزدقُ منْ عَلِ

مِنْ بعدِ صكَّتِيَ البعيثَ كأنَّهُ ... خربٌ تنفجَ مِنْ حِذارِ الأجدلِ

حسبُ الفرزدقِ أَنْ تسُبَّ مُجاشِعٌ ... ويعُدَّ شِعرَ مُرَقَّشٍ ومُهلهلِ

أزرى بحلمِكُم الفِياشُ فَأَنْتُمُ ... مثلُ الفَراشِ غشين نار المصطلى

يصف جرير نفسه بأنّه نزل على الشعراء من السماء مهاجمًا، مختطفا الفرزدق كالنسر الذي ينقضّ على فريسته الضعيفة من مكان مرتفع ويختطفها، وهذه الفريسة هي (الحبارى) التي تنتفش عن تعرضها لهجوم النسور الجارحة، ويقصد أنّه عالي المنزلة قوي النظم كالنسر الجارح، ويشبّه الفرزدق بالضعيف الذي لا يقوى على مقارعته وصدّه، مستعملا أسلوب التوكيد للإخبار: (إنّي) لتأكيد قوته وبأسه، ثم أسلوب النداء: (يا فرزدق) لتحقير خصمه وبيان وهنه وانحطاط منزلته، ويرى أن الفرزدق يكثر الفخر بمرقّش ومهلهل، ولا يبالي بأن تُسَبَّ قبيلته (مجاشع)، فيخبره أن كثرة المفاخرة بالنسب والمبالغة فيها يؤدي به وبقبيلته إلى الهلاك، مقوّيا قصده بالتمثيل، فيشبّههم كالفراش الذي يقوده طيشه وحبه لضوء النار إلى الهلاك والاحتراق، مستعملا الجمل الخبرية والعبارات الجزلة القوية. ثم يقول :(٣٢)

كانَ الفرزدقُ إذْ يعوذُ بِخالهِ ... مثلَ الذليلِ يعوذُ تحتَ القرمَلِ

وافخرِ بضبَّـةَ إنَّ أُمـكَ منهُـمُ ... ليسَ ابنُ ضبَّةَ بالمُعمِّ المُخولِ
وقضتْ لنَا مُضَرٌ عليكَ بِفَضلِنا ... وقَضتْ ربيعةُ بالقَضاء الفَيصـلِ
إنَّ الذَّي سمكَ السَّماءَ بَنى لَنَا ... عِـزَّاً عَـلاكَ فَمـا لَهُ مِنْ مَنْقَلِ

ولا ينفك جرير أبدا عن هجاء الفرزدق، فيصفه بالضعيف الذي لا يملك شيئا، فيتمسك بمن حوله ليصنع فخره ومجده، تارة بخاله وتارة بضبّة قبيلة أمه، ووصف خاله بـ(القرمل) وهو شجر ضعيف لا شوك له، وهذا مثل عربيّ معروف: (ذليل عاذ بقرمله) استوحى ذلك المثل ببراعة لتجسيد ضعف خصمه وذلّته وضعف مَن يلجأ اليهم، ويوظّف فعل الأمر(افخر) وهو لا يريد طلب شيء، عبر بالأمر وأراد الامتناع عن الفخر، والدليل قوله: (ليس ابن ضبّة ..).

فنفى عنه إحاطته بالفخر والجاه من جهة أعمامه وأخواله، ويخبره بأنّ قبيلتي (مضر وربيعة) يشهدان بفضلنا عليك وعلى قبيلتك مستعملا أسلوب التقديم والتأخير: (لنا، عليك) لتقديم نفسه وقبيلته والعناية بهما وتأكيد القوة والفضل لها على الفرزدق وقبيلته، ثمّ يردّ متفاخرًا حيث يقول: إنّ الله بنى لنا عزًا ومجدًا، والعزّ على إطلاقه أفضل وأرفع مكانة منك ومن قومك.

وهذا العز ثابت لا يزول ولا ينتقل؛ لأن قبيلتنا كالجبل الحصين الثابت مستعملا أسلوب التوكيد(إنَّ) وجاء بالعز نكرة؛ لبيان أنه كثير لا يتبدل ولا يفنى ويزول، ومستعملا مطلع قصيدة الفرزدق نفسه ليختم به قصيدته، ردًّا على خصمه بنقض كلامه، وتقوية الجاه والعزّ وسمو المنزلة له ولقومه.

نلاحظ أنَّ قصيدة جرير لاميّة كقصيدة الفرزدق، لكنها مكسورة القافية، والفرزدق لاميته مرفوعة والكسر لا يقوم للرفع.

الهوامش:

[1] ينظر: العين: ٥٤/٥، ومقاييس اللغة: ٩٥/٥، ولسان العرب : (قصد): ٣٦٤٣/٥

[2] ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني: ١٧، والظاهراتية وفلسفة اللغة: ٢٢.

[3] الخبرة الجمالية(دراسة في الفلسفة الظاهراتية)، ٣٠.

[4] ينظر: مفهوم القصد بين التداوليات الانغولوسكسونية : ١٧٧

[5] ينظر: التواصل والخطاب: ١٩

[6] ينظر: القصدية في الموروث اللساني العربي: ١١٢، ومقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي: ١٣٥

[7] نظر: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام): ٢٨

[8] التواصل والخطاب: ٢١

[9] ينظر: لسان العرب: (نقض) ٤٥٢٤/٦

[10] ينظر: تاريخ شعر النقائض: ٣

[11] ينظر: المصدر نفسه: ٣-٤.

[12] ينظر: تاريخ شعر النقائض: ٤، والخطاب في شعر النقائض دراسة تداولية: ٣٣

[13] الخطاب في شعر النقائض: ٣٤

[14] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٥٩

[15] ينظر: علم المعاني: ٢

[16] الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ٧

[17] المصدر نفسه: ٧

[18] ينظر: الاساليب الانشائية في النحو: ١٧

[19] ينظر: ديوان الفرزدق: ٥

[20] شرح نقائض جرير والفرزدق: ٣٥٩/١

[21] العمدة في محاسن الشعر: ٢٥٢/١، وينظر: النحو المصفّى: ٦٧٩

[22] ينظر: سر الفصاحة: ١١٨/١

[23] ينظر: شرح المفصل: ٤١٣٤

[24] ينظر: شرح نقائض جرير والفرزدق: ٣٥٥/١

[25] المصدر نفسه: ٣٦٠/١

[26] شرح نقائض جرير والفرزدق: ٣٦١/١

[27] ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو: ١٣٧

[28] ينظر: ديوان جرير : الطبعة الأولى بيروت، دار بيروت : ٦

[29] شرح نقائض جرير والفرزدق: ٣٨٢/٢

[30] ينظر: شرح نقائض جرير والفرزدق: ٣٨٤/٢

[31] شرح نقائض جرير والفرزدق: ٣٩٠/١

[32] شرح نقائض جرير والفرزدق: ٣٩٨/١.

المصادر والمراجع:

١- الأساليب الانشائية في النحو، د. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- مصر، ط٥، ٢٠٠١م.

٢- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، د. صباح عبيد، مطبعة الأمانة، : ط١، ١٩٨٦م.

٣- البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني: قدور عمران، عالم الكتب الحديث، الجزائر، ط١.

٤- تاريخ شعر النقائض في الشعر العربي: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٥٤م.

٥- التواصل والخطاب: بول ريكو، المركز الثقافي- المغرب، ط١ ٢٠٠٣م.

٦- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، مؤسسة هنداوي – مصر.

٧- الخبرة الجمالية (دراسة في الفلسفة الظاهراتية): سعيد توفيق، نشر: المؤسسة الجامعية- بيروت ، ط١، ١٩٩٢م.

٨- الخطاب في شعر النقائض دراسة تداولية : جبارية مصفاوي، بسكرة، جامعة محمد خيضر، ط١.

٩- ديوان الفرزدق: شرحه وقّدم له د. علي فاعور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١.

١٠- ديوان جرير : شرح: محمد حبيب، وتحقيق: د. نعمان محمد أمين، دار صادر- بيروت ، ط١.

١١- سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت: ٤٦٦هـ): دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٢م.

١٢- شرح مفصل الزمخشري: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت: ٦٤٣هـ)، قدم له: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ٢٠٠١ م.

١٣- الظاهراتية وفلسفة اللغة: عز العرب لحكيم بناتي، نشر: أفريقيا الشرق، ط١.

١٤- علم المعاني: عبد العزيز عتيق: دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥م.
١٥- العمدة في محاسن الشعر: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، الطبعة: الخامسة، ١٩٨١ م.
١٦- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال
١٧- القصدية في الموروث اللساني العربي: أوشن دلال، جامعة محمد خيضر – بسكرة، ٢٠١٦م.
١٨- لسان العرب: ابن منظور، تحقيق : عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف- القاهرة.
١٩- مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي: أحمد كروم، نشر: كنوز المعرفة.
٢٠- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
٢١- النحو المصفّى: محمد عيد، مكتبة الشباب.
٢٢- نظرية أفعال الكلام (كيف ننجز الأشياء بالكلام) أوستن، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، ٢٠١٠م.
٢٣- مفهوم القصد بين التداوليات الانغولوسكسونية: د. ثروت محمد مرسي، كلية الألسن- جامعة مصر .

المصادر العربية مترجمة للغة الإنكليزية:

1.Structural methods in grammar, Dr. Abdel Salam Muhammad Haroun, Al-Khanji Library - Egypt, 5th edition, 2001 AD.

2.Structural methods and their rhetorical secrets in the Holy Qur'an, Dr. Sabah Obaid, Al-Amana Press, 1st edition, 1986 AD.

3.The pragmatic and argumentative dimension in the Qur'anic discourse: Kaddour Imran, The Modern World of Books, Algeria, 1st edition.

4.The History of Contradictions Poetry in Arabic Poetry: Ahmed Al-Shayeb, Egyptian Nahda Library, 2nd edition, 1954 AD.

5.Communication and Discourse: Paul Rico, Cultural Center - Morocco, 1st edition 2003 AD.

6.Jawaher Al-Balagha fi Al-Ma'ani, Al-Bayan, and Al-Badi': Ahmed Al-Hashemi, Hindawi Foundation - Egypt.

7.Aesthetic Experience (A Study in Phenomenological Philosophy): Saeed Tawfiq, published by: University Foundation - Beirut, 1st edition, 1992 AD.

8.Discourse in the poetry of contradictions, a pragmatic study: Jabaria Musfawi, Biskra, Mohamed Kheidar University, 1st edition.

9.Diwan Al-Farazdaq: Explanated and presented by Dr. Ali Faour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1st edition.

10.Jarir's Diwan: Explanation: Muhammad Habib, and investigation: Dr. Noman Muhammad Amin, Dar Sader - Beirut, 1st edition.

11.The Secret of Eloquence: Abu Muhammad Abdullah bin Muhammad bin Saeed bin Sinan Al-Khafaji Al-Halabi (d. 466 AH): Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st edition, 1982 AD.

12.Al-Zamakhshari's detailed explanation: Ya'ish ibn Ali ibn Ya'ish ibn Abi al-Saraya Muhammad ibn Ali, Abu al-Baqa', Muwaffaq al-Din al-Asadi al-Mawsili, known as Ibn Ya'ish and Ibn al-Sa'ni (d. 643 AH), presented to him by: Dr. Emile Badie Yaqoub, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st edition, 2001 AD.

13.Phenomenology and the Philosophy of Language: Izz al-Arab by Hakim Banati, published by: Africa East, 1st edition.

14.The Science of Meanings: Abdel Aziz Ateeq: Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut, 1975 AD.

15.Al-Umdah fi Mahasin Al-Sha'ar: Abu Ali Al-Hasan bin Rashiq Al-Qayrawani Al-Azdi (d. 463 AH), edited by: Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid, Dar Al-Jeel, 5th edition, fifth edition, 1981 AD.

16.Al-Ain: Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed bin Amr bin Tamim Al-Farahidi Al-Basri (d. 170 AH), investigation: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, Al-Hilal House and Library

17.Intentionalism in the Arabic Linguistic Heritage: Oushin Dalal, Mohamed Kheidar University - Biskra, 2016 AD.

18.Lisan al-Arab: Ibn Manzur, edited by: Abdullah Ali al-Kabir, Muhammad Ahmad Hasb Allah, and Hashim Muhammad al-Shazly, Dar al-Maaref - Cairo.

19.The objectives of language and its impact on understanding legal discourse: Ahmed Karroum, published by: Treasures of Knowledge.

20.Language Standards: Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, Abu Al-Hussein (d. 395 AH), edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr, 1979 AD.

21.Refined Grammar: Muhammad Eid, Youth Library.

22.The Theory of Speech Acts (How We Accomplish Things with Speech) Austin, translated by: Abdelkader Qenini, East Africa, 2010 AD.

23.The concept of intention among Anglo-Saxon pragmatics: Dr. Tharwat Muhammad Morsi, Faculty of Al-Alsun - University of Egypt.